أبُو جِهَاد

نَـــامَتْ عُيُـــونكَ ! وَالأعْـــدَاءُ لَـمْ تَنَمْ
تَسْـــرِي إلَيْكَ وَلاَ تَخْشَـــاكَ فِـي الظُّلَمِ
سَعَتْ إلَيْـكَ أفَـــاعِيهَـــا مُغَـــامِـــرَةً
لَمْ تَقْتَحِـمَ وَادِيـــاً أوْ تَسْـــرِ فِـي أجَمِ
طَـــوَتْ إلَيْـكَ بِحَـــارَ الأرْضِ زَاحِفَـــةً
بِـالمَـوْتِ، وَالعَـربي المَـوْتُـورُ فِي حُلُم !
مَلَّ العَـــدُوُّ سُهُـولَ الأرْضِ يَحْصِـــدْهَـا
غَـــدْراً فَجَـــرَّبَ أنْ يَـــرْقَـى إلَى القِمَمِ !
نَـــامَ الـــرُعَـــاةُ ! فَـــلاَ عَتْبٌ لِنُـــوَّمِهَـــا
عَلَى الـــذِّئَابِ إذَا صَـــالَتْ عَلَـى الغَنَمِ !
وَكَيْفَ يُـــؤمَنُ سَفَّـــاكٌ تَعَـــوَّدَ أنْ
يَغْتَـــالَ أبْنَـاءَنَـــا فِي أقْـدَسِ الحُـــرَمِ ؟
يَنْقَضُّ كَـــالنَّسْـــرِ لاَيُنْجِـي فَـــرِيسَتَـــهُ
إذَا تَهَـــاوَى إلَيْهَـــا أيُّ مُعْتَصَـمِ !
يَخْتَـــارُ كُـلَّ أبِيٍّ لَـمْ يَبِـع وَطَنَـــاً
لِغَـــاصِبِيـــهِ، وَلَمْ يَـــرْكَع لَـــدَى صَنَمِ !
وَيَنْتَقِي كُـلَّ حُـــرٍ لاَيَجُـــودُ بِـــهِ
هَـذَا الـزَّمَـانُ الـــذِي يَشْكُـو مِنَ العُقُمِ !

يَـالَيْلَـةً أسْفَـرَت عَـن شَـرِ مَـذْبَحَـةٍ
قَـدْ أغْـرَقَت كُـلَّ حُـرٍ فِي نَجِيعِ دَمِ !
صكَّت مَسَـامِعَنَـا مِنْ هَـوْلِ صَـدمَتِهَـا
وَأخْـــــرَسَتْ بِنَعِيـبِ النَّعْـيِ كُلَّ فَـمِ
نَعَى الجِهَـادُ (أبَـاهُ) وَهُـوَ مُعْتَكِفُ
مُـؤرَّقُ الجَفْـنِ بَيْنَ الطـرسِ وَالقَلَمِ
يَخْلُـو بِمِحْـرَابِـهِ النَّـائِي لِيُبْـدِعَ مَـا
يُنْكِي العَـدُوَّ وَيُـذْكِي الـرُّوحَ فِي الهِمَمِ
قَـدْ كَـانَ قَلْبـاً وَعَقْـلا طَـالَمَـا اشْتَغَـلا
وَخَطَّطَـا لِلفِـدَا فِـي كُلِ مُقتَحَـمِ
وَكَـانَ يُحْـزِنُـهُ أنْ لايَكُـونَ لَـهُ
فِي غَـزَّةٍ وَهْـوَ مِنْهَـا مَـوْضِعُ القَـدَمِ !
فَعَـانَـقَ المَـوْتَ فِي أعْتَىٰ مَـوَاقِفِـهِ
وَلَمْ يَهُـن عَـزْمُـهُ فِي كُـلِ مُلْتَحَمِ
رَأى اليَهُـودَ وَقَـدْ دَاسُـوا مَحَـارِمَـهُ
وَدَنَّسُـوا كُـلَّ مَـايَسْمُـو مِـنَ القِيَمِ
وَسَـاءَهُ أنْ يَـرَى فِي أرْضِـهِ قَـزَمـاً
وَغْـداً تَعملقَ حَتَّى صَـارَ كَـالهَـرَمِ !
فَـاسْتَرْخَصَ الـرُّوحَ فِي تَخْلِيصِ مَوْطِنِـهِ
مِن غَـاصِبٍ مُقْحَمٍ فِي الأرْضِ كَالـوَرَمِ !

يُصْغِي لأسْيَـــادِهِ فِيمَـــا تُشِيـــرُ بِـــهِ
وَيَسْتَجِيبُ لِمَـــا تُـــوحِيهِ كَـــالخَـــدَمِ !
لَمْ يَسْمَعِ الغَـــرْبُ شَكْـــوَاهُ وَلاَ وَجَـــدَت
مَأسَـــاتُـــهُ حَلَّهَـــا فِي لُعْبَـــةِ الأُمَمِ !
وَلَـــمْ تُفِـــــدْهُ قَـــــرَارَاتٌ وَلاَ قِمَـــمٌ
كُبْـــرَى وَصُغْـــرَى بَنَتْهَـــا أُمَّـــةُ الكَلِمِ !
فَثَـــارَ ثَـــوْرَتَـــهُ الكُبْـــرَى وَفَجَّـــرَهَـــا
أطْفَـــالُـــهُ لَعْنَـــةً تَـــرْمِيـــهِ بِـــالحُمَمِ !
لَمْ يَسْتَطِـعْ خَنْقَهَـــا فِي أوْجِ شُعْلَتِهَـــا
وَلَمْ يُطِقْ أنْ يَـــرُوضَ الأُسْـــدَ بِـــاللُّجُمِ !

* ● *

أبَـــا جِهَـــادٍ لَقَـــدْ أصْبَحْـــتَ خَيْـــرَ أبٍ
لِمَنْ بَكَـــوكَ وَذَاقُـــوا غُصَّـــــةَ اليُتُمِ
لِلَّـــــــهِ أُمٌّ وَطِفْلٌ ذَابَ قَلْبُهُمَـــــــا
وَاسْتَقْبَـلاَ الخَطْبَ فِي كِبْـــرٍ وَفِي شَمَمِ !
مَنْ يَبْكِـكَ اليَـــوْمَ يَبْـكِ الحُبَّ فِـي رَجُلٍ
يَـــرَى الحَيَـــاةَ مَعَ الأغْـلاَلِ كَـــالعَـــدَمِ
مَـــــا أنْتَ أوَّلُ مُغْتَـــــالٍ تُطِيحُ بِـــــهِ
يَـــــدُ الجَنَـــــاةِ بِحُبِّ الأرْضِ مُتَّهَـمِ

فَكَمْ مَضَـى مِنْ رِجَـالٍ كُنْتَ قَـائِدَهُمْ
وَكَـانَ مَـوْتُهُمُـو للنَّـارِ كَـالضَّـرَمِ

لَنْ تَنْطَفِي شُعْلَـةٌ قَـدْ كُنْتَ حَـامِلهَـا
مَعَ الـرِّفَـاقِ وَلَـنْ تَخْبُـو مَعَ القِـدَمِ

وَسَـوْفَ تَبْقَى عَلَى مَـرِّ الـزَّمَـانَ صَـدى
بِكُـلِ قَلْـبٍ وَتَسْبِيحـاً بِكُـلِّ فَـمِ !